

## مقياس حضارات أمريكا اللاتينية

### الدرس الثاني: الحياة السياسية عند حضارة المايا

إذا ما قلنا الحياة السياسية يتبادر إلى الذهن مصطلح الدولة ولكن السؤال كيف تشكلت الدولة والجواب هي تطور لشكل المجتمعات من بداية إستقرارها على الأرض إلى قدرتها على تشكيل كيان سياسي كما نفهمه اليوم إنطلاقاً من القبيلة المكونة من أسر تتنامى وتكبر ضمن إطار عشائري تربطهم روابط مشتركة في أرض محدودة.

### أولاً: الفترة ما قبل الكلاسيكية

إن تنظيم المايا السياسي ليزال مجهولاً كما هو الحال بالنسبة للتنظيم الإجتماعي والديني. والوثيقة الوحيدة لدراسة هذه المسائل هو الكتيب الذي وضعه " ديبغو لاندرا " الذي وضع ملاحظاته حول ما شاهده في مجتمع المايا نفسه بعيد وصول الإسبان ، لكن في تلك المرحلة كانت حضارة المايا قد تراجعت كثيراً مع أن عاداتهم حفظت شيئاً من عراقتهم<sup>1</sup>.

رغم ذلك ومن المنطقي ومن المعروف عن كل المجتمعات القديمة في العالم القديم إنما تبدأ بناء لبنتها من القبيلة إلى العشيرة لذا يسود فيها ما يعرف بالنظام القبلي قبل أن تتشكل ثقافتها وحضارتها المميزة وتتجه نحو تشكيل كيان سياسي نامي ومتطور<sup>2</sup>. وبالتالي فنظام المايا كان

<sup>1</sup> موسى ديب الخوري: المايا إكتشاف حضارة عريقة ، (د.د) (د.س)، ص 95

<sup>2</sup> العروسي العامري: القبيلة حجر الزاوية في فهم واقع المجتمع العربي راهانا ومستقبله القريب ،

بسيطا حيث تجسد نظام الحكم لديهم من خلال سلطتين تسير أمور العشيرة دون أن نغفل عن كون حضارة المايا هي حضارة يسيطر عليها الدين سيطرة شديدة<sup>1</sup>.

### أ- رؤساء العشائر:

كانت مجتمعات المايا تعيش مستوطنات عشائرية لها رؤساء، وكانوا حكاما بالوراثة، وكانوا يحكمون من خلال مهاراتهم السياسية وقدراتهم الروحانية، حيث كان يعتقد أن لهم القدرة على الإتصال بالقوى الطبيعية الخارقة وكانوا بين عشائريهم يمثلون الطبقة الراقية.

### ب - المجلس العام:

ويضم هذا المجلس رؤساء وحكام العشائر، وهم الذين يديرون الأمور السياسية والدينية معا<sup>2</sup>. إلا أن هذا التنظيم لم يستمر حيث يعتقد عدد من المؤرخين أن مزارعي المايا ثاروا ضد حكومة الرؤساء والكهنة لسبب ما، وساهموا بذلك في انهيار مجتمع المايا<sup>3</sup>.

### ثانيا: الفترة الكلاسيكية:

وفي القرون الثلاثة الأولى في المرحلة الكلاسيكية كانت المدينة الميكسيكية، تيوتواكان مركز إمبراطورية كبيرة<sup>4</sup> حيث قامت في الفترة ما بين 300 و900م المدن الرئيسية المستقلة سياسيا كمدينة تيكال وباينك وبيدرا سونجراس وكوبان<sup>5</sup>، بها مجموعة كانت تمارس السلطة السياسية والكهنوتية والحياة الإقتصادية والإجتماعية والثقافية ووضعتها حول الدين. وكان للكهنة أهمية

<sup>1</sup> ب. راوين: الحضارات الهندية في أمريكا الإزتك. المايا. إنكا، دارا المنارة، الجمهورية العربية السورية، ط1، 1989، ص 52

<sup>2</sup> أحمد محمد عوف: موسوعة حضارة العالم، ج8، (د.د.) ، (د.س).

<sup>3</sup> <https://ar.wikipedia/wiki/المايا>، 15.05.2019، 05.14Pm.

<sup>4</sup> نفسه

<sup>5</sup> أحمد محمد عوف: المرجع السابق

كبيرة في حكومة ولايات المايا الكلاسيكية ولكنها لم تتولى السلطة الكاملة والفئة النبيلة من المحاربين هي التي تركزت على السلطة. وقد تشوهت صورة المايا كمجتمع يحكمه الكهنة عندما تبين أن المدن كانت في حروب مستمرة مع بعضها البعض. وهذا ما تسبب في تصدع

حضارة المايا الكلاسيكية بين عامي 750 و 900 م ليدخل بعدها حكام المايا في حالة من الفوضى وسيطرة القبائل على بعضها تباعا ففي منتصف القرن العاشر ميلادي غزا شعب التولتيك وهم شعب جاء من الأراضي المرتفعة لوسط المكسيك بيوكاتان وأسسوا إمبراطورية في المكسيك عاصمتها تولا واستولوا على المدينة القديمة للمايا، وانهارت تولا في القرن الثاني عشر ميلادي وانتهى حكم التولتيك ليوكاتان في القرن الثالث عشر ميلادي وعقب نهاية حكم التولتيك شيدت مجموعة من زعماء المايا عاصمة في مايا بان وأعاد المايا بناء ثقافتهم من جديد وبعدها وحوالي سنة 1440م ثار بعض زعماء مدن المايا على حكام مايا بان وهزمهم. وبعدها أصبحت يوكاتان مقسمة إلى ولايتين ويقال ستة عشرة ولاية واستمر هذا الوضع حتي مجيء الإسبان.

وبشكل عام، تميز نظام الحكم خلال هذه الفترة بهرمية صغيرة برئاسة حاكم وراثي يعرف باسم (ajaw). وكانت الممالك لا تعدو أن تكون أكثر من عاصمة وجوارها عدد قليل من البلدات الصغيرة، وإن كانت هناك ممالك أكبر تحكم أراضي كبيرة تحت رعاية أنظمة سياسية أقل وكانت هويتها الوحدة السياسية المرتبطة بسلالة حاكمة معينة<sup>1</sup>. أي أنهم لم يتحدوا يوما بل

---

<sup>1</sup><https://ar.wikipedia/wiki/المايا>، 15.05.2019، 05.14Pm.

كانوا مدن دول مستقلة عن بعضها البعض<sup>1</sup>. ورغم ذلك بقيت ممالك المدن هي الوحدة السياسية النموذجية في ظل نموها وتطورها والتي أظهرت نوعا من الرقابة الحسنة التنظيم غير أن مركزية السلطة لم تكن تصل إلى مستوى تنظيم طبقي بالمعنى الحقيقي<sup>2</sup>.

**الملك:** وكان الملوك يطلق عليهم لقب كولا هو (K'ul ahau) ومعناها الحاكم الأكبر والمقدس لأن الملك كانت له السلطة السياسية والدينية<sup>3</sup>. فهو القائد السياسي والقاضي الأعلى والرئيس الديني في آن معا وكان يمثل جالسا على عرشه في الكثير من الرسومات الجدارية<sup>4</sup>. و كانوا يحكمون من خلال مجلس حكم وراثي لكن سلطاتهم تهاوت بعد ظهور المؤسسة الدينية التي كان للكهنة فيها سلطتهم<sup>5</sup>.

**حكام المدن:** وكانوا من رؤساء القبائل فكان يتولى حكم كل مدينة ملك يعتبر الكاهن<sup>6</sup>. وكانت تنقش صور الحكام على استيالات من الصخور وهم يحملون الأسلحة ويحاولون أسر بعضهم البعض لتقديمهم كذبائح قربانية لأغراض طقوسية وسياسية. وكانوا يدمرون أجزاء من المدن ولاسيما التخوم الإحتفالية للمعابد. لكن هذا لم يكن يَأثر على السكان والإقتصاد في المدينة ذاتها. وكانت الدول المدن تحارب بعضها على نطاق ضيق ولايتعدى الغارات متبعين الهجوم الخاطف ثم الغنسحاب السريع، ومعظم المهاجمين كانوا من النبلاء. وفي المناطق المنخفضة بأرض المايا بنيت المدن الكبيرة والمستقرة حيث كانت مأهولة بالسكان الذين كانوا

<sup>1</sup> موسى ديب الخوري: المرجع السابق، ص 95

<sup>2</sup> ب. راوين: المرجع السابق، ص 51

<sup>3</sup> <https://ar.wikipedia/wiki/المايا>، 15.05.2019، 05.14Pm.

<sup>4</sup> موسى ديب الخوري: المرجع السابق، ص 95

<sup>5</sup> أحمد محمد عوف: المرجع السابق.

<sup>6</sup> <https://ar.wikipedia/wiki/المايا>، 15.05.2019، 05.14Pm.

يدفعون الجزية في شكل سلع أو العمل في بناء المعابد والقصور الملكية والأبنية وخزانات المياه والجسور العلوية فوق

المستنقعات<sup>1</sup>. وكان من مهام حكام المدن قيادة الجيش في حالة الحرب ويلعبون دورا فعالا في الإحتفالات الشعائرية. كما كان أقربائهم وحلفائهم يشتغلون بالوظائف الإدارية ويجبون الضرائب للحاكم<sup>2</sup>.

### ثالثا: فترة الإحتلال الإسباني

في بداية القرن السادس عشر الميلادي إستولى الغزاة الإسبان على بلاد المايا، التي كانت وقتئذ مقسمة إلى أقاليم صغيرة نسبيا يحكمها ملوك مستقلين ذاتيا، لديهم موظفون يقومون مقام الوزراء والحكام. وكانت السيادة تنتقل بالوراثة إلى الزوجة الشرعية وعند موتها يخلفها ابنها الأكبر أو ابن أخت العاهل وليس ابن الأخ على الإطلاق. وقد حكمت عدة نساء تحت الإحتلال الإسباني بشجاعة وحكمة بعد إختفاء أزواجهن وبقين في الحكم حتى إغتيالهن الذي لامناص منه مثل ماحدث مع ملكة إقليم اسبانيولا التي أحرقت وهي حية، بعد أن تمكنت لبعض الوقت في فرض نوع من توازن القوى مع المحتلين. كما يشير ثييثا دي ليون، كذلك لوصول المرأة للسلطة في كولومبيا عن طريق حق الوراثة، وكذلك رد الألقاب والأملاك إلى ابن أخت المتوفي . أما في نيكارجوا فإن الممالك الوراثة قد استبدلت بمجتمعات تحكمها مجالس أو جمعيات للشيوخ أو الرجال الموقرين المختارين عن طريق الإقتراع والذين يجتمعون

<sup>1</sup> أحمد محمد عوف: المرجع السابق

<sup>2</sup> موسى ديب الخوري: المرجع السابق، ص 96

في مبنى خاص لمناقشة شؤون الجماعة حتى يصل الإتفاق أوعدم الإتفاق إلى الإجماع.وقد أزجت هذه الديمقراطية التي تتطلب أخذ عدة آراء بعين الإعتبار.واستبدلت بنظام الزعماء وهو الاكثر فاعلية للسيطرة على السكان الأصليين.

كما يشير أوفبيدو إلى وجود ممالك وراثية في نيكارجوا و يوكاتان تعتمد على:

**الملك:** وقد كان أعضاء السلالة في الحكم سادة الشؤون الدينية والدنيوية على حد سواء (وهذا ليزال مستمرا لحد اليوم النهوش تاتا تشكل السلطة العليا للجماعة ويتمتع بالسلطة الدينية والدنيوية على حد سواء). و كان يوجد بجانب الملك دوما قوس طقسي، ويلاحظ مورلي أن شعار الزعيم في نصب يوكاتان كان سلاحا.

**مجلس الدولة:** ويضم عدة موظفين لهم الكلمة الفصل في أي شيء يخص الجماعة وهم يشبهون مجالس البلدية في إسبانيا في القرن 16 م . ويقومون بمساعدة الملوك في حكم شعوبهم.كما كانوا المستشارين في السياسة الخارجية وفيما يخص سفارات الدول الأخرى.كما كانوا يجتمعون في الببلونا ليتداولوا في الأمور العامة وفي نيكارجوا كان الرسل مزودين بصولجان من الريش وهم الذين يذيعون قرارات المجلس.وكانوا يستخدمون للمطالبات الرسمية عصيا - صنجية يسلمها الملك بالذات إلى المنادي العام.

**الحكام:** وكان الحكام المزودين بالسلطة سواء في الجانب الإحتماعي أو في الجانب الديني يقضون فترة محدودة في معبد قبل توليهم السلطة حيث كانوا يتحولون إلى آباء المعبد بعد سنة في نيكارجوا. كما يعتكف الأمير الوارث لمدة من خمس إلى سبع سنوات حسب أهمية الإرث، وأثناء ذلك الإعتكاف لا يمكنه رؤية الشمس تحت طائلة فقدان المنصب.

كما لاحظ الاثنولوجي المكسيكي ألفونسوفيا روخاس في أيامنا هذه أن أسلوب المايا في الحكم يركز على نظام سياسي ديني يحتل المركز الأعلى فيه، حبر أعظم يقوم بدور المستشار في جميع قضايا الإدارة العامة والموقف الديني يطغى على كل شيء، ولا يتصدى لأي قضية جديدة دون أن يتوسل قبل ذلك الفضل من الصليب المقدس ومن المسيح وعدد من القسيسين عن طريق الصلوات أو طقوس أخرى<sup>1</sup>.

اذن ومن خلال هذه الدراسة الموجزة للحياة السياسية للمايا نستنتج إستمرارية نفوذ القبيلة ككيان سياسي والتي هي عادة ما تسبق نشوء نظام الدولة المدينة كما انها هي العامل والعنصر الأساسي والرئيسي لتطور مفهوم الدولة وهذا ما سجله التاريخ من تطور في التنظيم السياسي عبر تاريخ الشعوب من القديم وحتى الآن. ولكننا عند المايا نجد بأن نفوذ القبيلة لم يافل نجمها حتى مع إختلاف الأنظمة السياسية عبر حقبها التاريخية وإننا نعزي ذلك للدور والنفوذ الواسع الذي كان يتمتع به الجانب الديني حيث أن حضارة المايا هي حضارة يسيطر عليها الدين سيطرة شديدة.

<sup>1</sup> لاوريت سيجولاته: أمريكا اللاتينية الثقافات القديمة ما قبل الكولومبية، تر. صالح علماني، المكتب الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 1، 2003، ص ص 152-155.